١،٤،٢- وجوب التَّعَلُّم والتفقُّه

وأن التفقه والتعلم تؤديان المعنى إلى حصول الحكمة حيث يقول ابن منظـــور الأفريقي والحُكْمُ: العِلْم والفقه؛ قال الله تَعَالى: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ [سُورَةُ مَرْيَمَ: الآيَةُ ١٢]، أي علماً وفقهاً، هذا ليحيى بن زكريا، (ابن منظور الأفريقي، ١٤١٠هـــ-١٩٩٠م، ١٢/١٤٠، بتصرف)، وقد ورد أيضاً عن النبي ﷺ في دعوته لإبن عباس رضي الله عنهما بالحكمة وأخرى بالتفقه والتأويل، حيث قال ابن عباس رضي الله عنهما "ضمني النبي ﷺ إلى صدره وقال "اللّهّم علمه الحكمة"، والحكمة: تعنى الإصابة في غير النبوة (البخاري، ١٤١٤هـــ-١٩٩٣م: ٣/١٣٧١)، وذُكِر في روايـــة أخـــرى "اللّهّم فقهه في الدِّين وعلمه التأويل" وفي رواية "اللّهّم علمه الكتاب"، (البُخَارِي، ١٤١٤هـــ-١٩٩٣م: ١/٤١)، وفي رواية لابن ماجه "اللّهّم علِّمه الحكمة وتأويل الكتاب" (السندي، ١٤١٦هـــ-١٩٩٦م: ١/١٠٨)، وكل هذا من دعائه صلوات الله وسلامه عليه لإبن عباس رضي الله عنهما؛ لذا نستنتج من ذلك أن الترادف بين العلم والفقه من جهة، وبين الحكمة من جهة أخرى أمر وارد، ويؤيد الرأي الدكتور المورعي قوله: " وأن المعرفة بالدين والفقه فيه يعنى الحكمة نحو قوله تَعَالى: ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [سُـــورَةُ البَقَرَة: الآيَةُ ٢٦٩]، قاله ابن عباس[19] ومالك وابن زيد[20] والحسن[21] ومقاتل[22]، (أحمد المورعي، ١٤١٨هـــ-١٩٩٧م، ص٨٨).

أن العالم الإسلامي بحاجة إلى ثورة علمية في ميدان الفكر والدعوة والأحوال الاجتماعية والسلوك، ومراجعة فقه الذات خاصة على المستوى الدعوى بين

---

[19] (ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ١/٢٦٨).

[20] (الطبري، جامع البيان في تفسير آي القرآن، ٣/٩٠).

[21] (ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ٧/١١١).

[22] (مقاتل البلخي، الأشباه والنظائر، ص١١١).

Prince of Songkla University Pattani Campus

العلماء والمفكرين والدعاة، الذين ينبغي عليهم أن يبدأو أنفسهم بفقه الذات وتبدأ الأمة بفقه المعاملات ويبدأ الأفراد بفقه العبادات (تاج الدِّين الهلالي، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ص٣).

ويوضح فضيلته على أن هناك نوعاً آخر تتطلبه ظروف المرحلة التي نعيشها وهذا النوع: أدعو علمائنا وفقهائنا المعاصرين على استحداثه وهو "فقه الذات" وهذا الفقه يجب تطبيقه على وجه السرعة لإصلاح كثير من الأمور التي تعصف بالمسلمين فالله ﷻ يقول: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [سُورَةُ الذَارِيَات: الآيَةُ ٢١] وفي الحديث "طوبى لعبد شغلته عيوبه عن عيوب الناس".. وهذا الفقه بدأ به رسول الله ﷺ وكل منا بحاجة إلى أن يقف مع ذاته موقف المراجعة والمحاسبة والمراقبة وأن يصلها بالأنوار الثلاثة (الله والرسول والقرآن) (تاج الدِّين الهلالي، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ص٣).

إلى جانب ذلك أن الله سبحانه مدح أهل العِلْم، وأثنى عليهم، وشرَّفهم بأن جعل كتابه آيات بيِّنات في صُدروهم، وهذه خاصة ومنقبةٌ لهم دونَ غيرهم، فقال تعال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۞ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ۞ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [سُورَةُ العَنْكبُوت: الآيَةُ ٤٧-٤٩]، وسواءٌ كان المعنى أن القرآن مستقر في صدور الذين أوتوا العِلْم، ثابت فيها، محفوظ، وهو في نفسه آياتٌ بيِّنات، فيكون قد أخبر عنه بخبرين: أحدهما: أنه آيات بينات، الثاني: أنه محفوظ، مستقر، ثابت في صدور الذين أوتوا العِلْم، أو كان المعنى: أنه آيات بينات في صدورهم، أي: كونه آيات بينات معلوم لهم، ثابت في صدورهم، والقولان متلازمان، ليسا بمختلفين، وعلى التقديرين: فهو مدح لهم، وثناء عليهم في ضِمنه الاستشهاد بهم، فتأمله، (ابن القَيِّم الجوزية، ١٤١٦هـ -١٩٩٦م، ص٢٥).

وكذلك فإنه لا تمنع أنظمة التعليم في الديمقراطيات دراسة العقائد السياسية أو أنظمة الحكم الأخرى، وتشجع الديمقراطيات الطلبة على التوصل إلى حجج منطقية معقولة قائمة على أساس البحث الدقيق والفهم الواضح للتاريخ (وزارة الخارجية الأمريكية، د.ت، ص٢٧- ٢٨).

ونود أن ننبه إلى أن ما ورد الحديث عن الديمقراطية ووصلها بالموضوع؛ بسبب وجودها وانتشارها في الدول الإسلامية.

٢،٤،٢- نماذج من تعاليم رسول الله ﷺ

ليس الحديث عن رسول الله ﷺ كالحديث عن غيره من عظـــماء التاريخ وكبار الرجال الذين كان لهم أثر بارز في تغيير مسار الحياة ومجرى التاريخ، وإن أحدنا مهما أوتي من فصاحة وبلاغة وسعة أفق وخصوبة خيال فما هو ببالغ الوفاء في ناحية من النواحي الإنسانية العظيمة التي برز فيها نبي الهدى والرحمة، فكيف بالإحاطة بجميع شمائله وصفاته وأخلاقه وفضائله؟!. (موسى الأسود، ١٤١٧هـــ-١٩٩٦م، ص٢٧٥).

ولن يظهر فضل المصلح وآثاره الخالدة إلا إذا عرفنا الحالة التي سبقته والعقائد ونمط السلوك وأسلوب الحياة الذي قبله، فلقد جاء رسول الله ﷺ إلى العالم وهو يموج بالشر والفساد والظلم والطغيان، القوي يأكل الضعيف، والظالم يبطش بالمظلوم، وانحرف الناس عن طريق الهدى والحق، وفسد تصورهم عن الخالق فاتخذوا أصناماً تعبد من دونه، وأنكروا اليوم الآخر، فلجوا في الشر، وسكروا في الشهوات والملذات، وطغت المادة وكثرت الغارات والحروب والنهب والسلب، فأسنت الحياة وأنتن المجتمع بما حوى من هذه القبائح والمخازي، فكان لابد من ظهور المنقذ، فهذا وقته ولابد من مجيء المصلح، فها هنا مجال عمله.

ومن هناك من "أم القرى" من بين الجبال الشاهقة، والأدوية الخاوية تفجرت ينابيع الحكمة والهداية وأشرق النور، ففي هذا المكان ولد حفيد إبراهيم عليه السلام، وكان ميلاده ﷺ إيذاناً بطلوع فجر ليل اشتد ظلامه وتخبطت البشرية في دياجيره قروناً

Prince of Songkla University Pattani Campus

طويلة. وهنا أعلنت السماء أن قد جاءت الهداية وطلع النور ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سُورَةُ التَّوْبَة: الآيَةُ ١٢٨] ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ [سُورَةُ المَائِدَة: الآيَةُ ١٥].

وانطلق أتباع محمد ﷺ في شرق الدنيا وغربها يبشرون بهذا الدِّين الجديد الذي جاء لينقذ الإنسان من عبادته للإنسان، وليخرجه من ضيق الدنيا إلى سعتها وليخلصه من جور الأديان والنظم والعادات إلى عدل الإسلام، انطلقوا يحملون أسمى المبادئ وأصفى العقائد وأرفع المثل والقيم وأجمل الفضائل والأخلاق وانتشروا في الأرض، وفي أقل من ربع قرن استطاعوا أن يحطوا عروش الطغاة وتيجان الجبابرة، ولم يكونوا يحملون معهم فلسفة اليونان ولا مدنية الرومان ولا صناعة الصين أو حكمة الهند، وإنما كانوا يحملون معهم الإيمان، أجل الإيمان الصادق الذي يصنع العجائب ويأتي بالغرائب (موسى الأسود، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص٢٧٥- ٢٧٦).

٢،٥- مكانة اللغة العربية في التعليم الإسلامي

شاءت إرادة الله ﷻ أن يؤيد أنبياءه ورسله بأنواع من المعجزات وخوارق العادات، لتقوم الحجة على أقوامهم ويظهر صدق نبوتهم ولما كان العقل البشري في طور النمو، وفي المراحل الأولى للنضج، كان عندها لا يرى أقوى من المعجزة الكونية والحسية الظاهرة التي يلمسها ويراها، فناسب أن تكون معجزة كل نبي فيما نبغ فيه قومه واشتهروا به، فكانت آيات الأنبياء ساطعة باهرة لا سبيل إلى إنكارها أو الاتيان بمثلها، كمعجزة العصا واليد لموسى عليه السلام، وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله لعيسى عليه السلام، وكانت المعجزة تتحدى من حضر من الأقوام، وانقضت تلك المعجزات ولم يبق إلا ذكرها وخبرها، ولما اكتمل نمو العقل البشري ونضجه، وارتقى إلى المستوى الذي رأى

Prince of Songkla University Pattani Campus

فيه أن السمو والرفعة في العلم والمعرفة والتفكير، جاءت معجزة محمد ﷺ تناسب العقل البشري في أرقى تطورات كماله ونضجه، وهي القرآن الكريم، كلام الله المعجز، الذي يتحدى البشر أن يأتوا بمثله على مر العصور وكر الدهور، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، والعرب هم أهل الفصاحة ومعدن البلاغة وفرسان الكلام، وقد وقفوا مبهورين حائرين أمام عظمة القرآن وفصاحته وبلاغته وأسلوبه وبيانه، وطالما أنه كتاب خالد، فالمؤمنون به كثر، وفي كل زمان ومكان سيوجد من يشهد بعظمة هذا القرآن وإنه وحي الله ﷻ، أما معجزات الأنبياء السابقين فقد انقضت بانقضاء وقتها وزمانها، يقول رسول الله ﷺ: "ما من الأنبياء نبيٌّ إلا أُعْطِيَ ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً"، (البُخَارِي، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م: ١٩٠٥/٤)، وتحدي القرآن للبشر كان ولا يزال قائماً ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [سُورَةُ البَقَرَة: الآيَة ٢٣- ٢٤]، ولو استطاعوا إبطال حجية القرآن لفعلوا، فالتحدي قائم، والميدان أمامكم، وهو يقول لكم، لم ..ولن ..لم تستطيعوا في الماضي، ولن تستطيعوا في الحاضر والمستقبل، فيجب أن يذعنوا ويقروا ويعترفوا بأنه كلام الله وليس من عند محمد ﷺ (موسى الأسود، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص٩٤- ٩٥).

إن القرآن معجز في لفظه ومعناه وسوره وآياته، وتشريعاته وأحكامه وأخباره وقصصه وأمثاله، وهو مؤلف من الحروف العربية التي يتداولها الجميع، ومع هذا عجزوا عن الإتيان بمثله، هم مدعوون لهذا في كل وقت ولكن لم يستطيعوا ولن يستطيعوا، حتى ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً (موسى الأسود، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص٩٦).

فللقرآن لغة، واللغة ليست مجرد وسيلة للتعبير أو أداة للتوصيل والتواصل والتفاهم، أي ليست وعاءً تصب فيه المعاني المراد نقلها، وإنما هي بالإضافة لهذا وعاء

Prince of Songkla University Pattani Campus

للتفكير وأداة للعمليات التفكيرية، إذ لا ينكر اليوم علاقة التعبير بالتفكير، والتفكير بالتعبير، فالألفاظ واللغة بشكل عام هي مشحون حضاري وثقافي، ومخزون تراثي، وهي ظاهرة اجتماعية تاريخية تتطور وتنمو بتعدد وتنوع الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلمية، وأن تنمية اللغة وتطويرها هي قضية سياسية اجتماعية وإنتاجية، فعندما يتطور المجتمع حضارياً وإنتاجياً تتطور اللغة، وعندما يتقدم الفكر وتتقدم اللغة يتقدم المجتمع، (طالب عبدالرحمن، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ص٢٤).

وأن اعتياد الكلام باللغة العربية له تأثير جمة، فقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- يرى أن الطريق الحسن في ذلك هو اعتياد الخطاب بالعربية، حتى يتلقنها الصغار في المكاتب وفي الدور، فيظهر شعار الإسلام وأهله، ويكون ذلك أسهل على أهل الإسلام في فقه معاني الكتاب والسنة وكلام السلفية، بخلاف من اعتاد لغة ثم أراد أن ينتقل إلى أخرى فإنه يصعب"، ومن الجدير بالتنبيه، تلك الرؤية الدقيقة والمبتكرة لأثر اللغة ودورها في التفكر وصيانة الشخصية عند الإمام ابن تيمية رحمه الله، حيث يقول: "إن اعتياد اللغة يؤثر في العقل، والخلق، والدِّين، تأثيراً قوياً بيناً، ويؤثر أيضاً في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقل والدِّين والخلق".

ويؤكد على أن "نفس اللغة العربية من الدِّين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلاَّ بِهِ فوَاجِب" (طالب عبدالرحمن، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ص٢٦).

وأن علاقة اللغة العربية بالدِّين لهي علاقة أزلية، وليس حديث العهد، فيضيف البروفيسور طالب عبدالرحمن عبدالجبار قوله: فالقرآن منذ أن نزل كان عربياً، وسيظل عربياً إلى أن تقوم الساعة، فمن أقوال الصحابة الأجلاء عن ذلك ما روى من أن عمر قد كتب إلى أبي موسى ﷺ: "أما بعد فتفقهوا في السنة، وتفقهوا في العربية، وأعربها القرآن، فإنه عربي". وفي حديث آخر عن عمر ﷺ أنه قال: ((تعلموا العربية فإنها من دينكم، وتعلموا الفرائض فإنها من دينكم))..وهذا الذي أمر به عمر ﷺ من فقه العربية وفقه الشريعة، يجمع ما يحتاج إليه، لأن الدِّين فيه أقوال وأعمال، ففقه العربية هو الطريق

Prince of Songkla University Pattani Campus

إلى فقه أقواله، وفقه السـنة هو فقه أعماله، (طالب عبدالرحمن، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ص٢٧).

فالمسلم متعبد ليس فقط بفهم القرآن وتطبيق أحكامه، بل بتصحيح نطق ألفاظه، وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من الأئمة القراء عن الرسول ﷺ، فنزول القرآن باللغة العربية لا يتناقض مع عالميته قال الله تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء: الآيَةُ ١٠٧]، وقال تعالى أيضاً ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [سورة الأعراف: الآيَةُ ١٥٨]، (عبدالعزيز تركستاني، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ص٥٩٣).

إن التأكيد على اللغة العربية وتعلمها هو الذي حفظ هوية الأمة المسلمة وكيانها في الكثير من البلاد الإسلامية المستَعْمَرَة مثل الجزائر وغيرها..وإن الدعوة لغير العربية، ومحاولة إحياء اللهجات العامية أو اللغات واللهجات القديمة، ترافقت تاريخياً مع التحرك الشعوبي والعمالة الثقافية، في محاولة للكيد للعروبة والإسلام، وعزل النص الدِّيني عن عقل وحس وسلوك الأمة المسلمة، (انظر: شيخ الإسلام ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، تحقيق: د.ناصر العقل، جـ١. طالب عبدالرحمن، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ص٢٧).

ولعل من حسنات التيارات والاتجاهات القومية العربية، أنها اعتبرت اللغة العربية الفصحى هي إحدى مقومات وجود الأمة العربية، ودافعت عنها، ومكّنت لها في معاهد ومؤسسات التعليم، فأدّت بذلك دوراً إيجابياً غير مغموط في حفظ كيان الأمة وضمان امتدادها واستمرارها، لأن المستعمر بدأ خطواته باتجاه القضاء على كيان الأمة بفرض لغته وثقافته وعاداته ومبادئه.

وقد يكون من أخطر الدعوات المعاصرة التي بدأ تشكل قناعات مزيفة، وتتسلل إلى معاهدنا ومؤسساتنا العلمية والإعلامية، ونحن نعاني من التخاذل والتراجع الحضاري، وذلك عندما عجز أعداء اللغة عن مدافعتها وتجاوزها، محاولة التفريق بين لغة

Prince of Songkla University Pattani Campus

الدِّين، بحيث لا تلغي العربية، حتى لا تستفز الأمة وتشعرها بالتحدي، وإنما تفصل عن حياة المجتمع يكون من التطبيق العلماني في مجال اللغة، التي تحمل قيم الدِّين ومقاصده ودلالاته، حيث تحاصر في (المعابد) لتكون لغة العبادة مثل الآرامية، السريانية القديمة التي تقصر على رجال الدِّين أو المتخصصين، (طالب عبدالرحمن، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ص٢٨- ٢٩).

ويناشد مالك الريماوي أيضاً بقوله عن أهمية تعليم اللغة وما يترتب بعدها من إيجابيات أو سلبيات، ويرشد بذلك إلى تعليقها في القصص قائلاً: "إن ما ارتوينا عنونته بالقصة وتعليم اللغة هو مساحة ما لتجربة العبور، وفضاء لمغامرة السؤال وعبور التجربة، للعبور بتعليم اللغة إلى مستويات وآفاق مغايرة للسائد، لمساءلة الطاغي في حياتنا، حتى لا تصبح مهمة التعليم تحويل الطلاب إلى نسخ بشرية (منسوخة أو ممسوخة) عن نموذج منجز وثابت، محبوك طبقاً لحكمة شاخت بعجزها وعجزت بشيخوختها، ولنعيد للتعليم براءته الأولى فيغدو فرصة للبحث والتفرد.

فلكل فرد مسار وكل مسار فرد، وللبحث عن جديد الفكر والمعرفة عبر موضعة غاية التعليم في تفعيل ذلك الصراع الأبدي بين المجازفة والحكمة؛ الحكمة الساعية إلى ترويض الإنسان ومسخه، والمجازفة المنطلقة دوماً إلى الآتي تستقدمه، تبحث عنه وتحثه على الإقدام، وهذا ما دفعنا لاختيار القص سبيلاً لذلك، لكون القص يعني الحياة في صورة سردية، ويقدم اللغة في وضعية إنسانية وينتصر للتاريخ الآخر أو للآخر من التاريخ، ما يمكننا من اقتراح مقاربات تعليمية تتضمن رؤى نظرية نقدية، تخترق بنية التعليم السائد وتجتازها، ونشاطات تطبيقية إبداعية ونقدية تهدم الحدود وتُسائل اليقين فينا، وتخرجنا من عبودية الأجوبة إلى فضاء الأسئلة" (مالك الريماوي، ٢٠٠٦م).[٢٣]

يحدد القرآن الكريم موضوع العروبة والعجمة من خلال آياته البينات، ففيه إن القرآن الكريم عربي على وجه التأكيد، حيث يذكر عربية هذا القرآن في العديد من

[23]http://www.qattanfoundation.org/qcerd/subpage/ar/index.asp?SectionID=57&Section2ID=192.

Prince of Songkla University Pattani Campus

آياته ﴿ حمٓ ۞ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ [سُورَةُ فُصِّلَتۡ: الآيَةُ ١-٣]، وفيه تأكيد أن اللغة تكون على وجهين بالمطلق، إما عربية أو أعجمية ﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَأَعۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ ﴾ [سُورَةُ فُصِّلَتۡ: الآيَةُ ٤٤]، والعروبة فيه تعني النطق بهذه اللغة العربية بشكل صحيح وفصيح مهما اختلفت الحروف، وكلمة فصيح تعني الأول، (محمد رشيد ذوق، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

ونستنتج إن العروبة هي اللغة الأساس التي فطر الله الناس عليها، فعلم آدم الأسماء، وهذه الأسماء إنما كانت بلغة عربية فصيحة، أما الأعجمية فهي اللفظ المعين الذي يؤدي إلى معنى مختلف وقد سماه القرآن أيضا تحريفاً، فقال عن اليهود أنهم يحرفون الكلم ﴿ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ۞ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ۞ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ ﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ: الآيَةُ ٤٤ -٤٦]، ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٞ ﴾ [سُورَةُ النَّحۡلِ: الآيَةُ ١٠٣]، أما صفة الناس الذين لا ينطقون العربية بدقة فلا يمكننا أن نطلق عليهم لقب الأعاجم بالرغم من أنهم ينطقون القرآن بصوت مختلف، و نرى في ذلك شواهد عدة للهجات العديد من (الأعاجم) حتى وهم يقرأون القرآن، فيقلبون لفظ الـ (و) الى V ، و الـ (ط) الى (ت). ففي اللغة العربية الفصحى تقلب الحروف و تلطف دون أن نسميها بالأعجمية ، مثلا – اعطاء – ايتاء حيث تقلب الطاء تاء ملطفة، و تقلب العين ياء ملطفة، (محمد رشيد ذوق، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

Prince of Songkla University Pattani Campus

من هنا نرى أن بعض اللغات التي يسميها الناس أعجمية إنما هي عربية، بلهجة مختلفة ملطفة أو مفخمة، ومع مرور الزمن وإنتقال الناس من طور إلى طور، يتطور المعنى الاساسي لكلمة ما ليصبح ويشمل معاني متعددة أو معاني أقل، كأن نقول الطائر بالعربية الفصحى، وهي صفة كل من يطير، كالصحون الطائرة والطائرات والطيور، لكننا اذا لفظناها منفردة تعني الحيوان الطائر دون ما حاجة الى ذكر كلمة حيوان، و نجد في اللغة الانكليزية كلمة (تائر- طائر) التي تعني نوعا معينا من الطيور، كذلك في الفرنسية التي تستعمل كلمة (وز، وا زو - بالفتح والضم) بمعنى اي حيوان طائر بينما هي في الاصل في العربية تعني نوع معين من الطيور (الاوز)، (محمد رشيد ذوق، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

من هذا المعنى نرى أن كل من كلمة عربي وكلمة عجمي قد تطورت و لم تعد تعني الموقف نفسه الذي علمه الله لآدم عليه السلام، والذي حدده في القران الكريم، بل أصبحت تعني شكلاً آخر من أشكال الكلمة، فلم تعد العربية تعني اللغة فقط وأداة التخاطب بين الناس، بل أصبحت بعرف عدد كبير من الناس تعني لغة مجموعة اثنية او عرقية من الناس، وهنا يكمن الخطأ المميت الذي تتعرض له اللغة والمعاني (أي لغة كانت بمعناها المطلق التام) بحيث تقلب المفاهيم، وهذا لا يمكننا أن نسميه ارتقاء وتطور نحو الأعلى إنما يمكننا فقط أن نسميه انحدار وسير نحو الأسفل -- فتبلبل الألسنة و اختلافها حتى أصبح التفاهم و التواصل بين بني الانسان صعباً و شاقاً كان لعنة على الناس في بابل، يقول القران ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۞ وَطُورِ سِينِينَ ۞ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۞ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۞ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ [سُورَةُ التِّيْنِ: الآيات ١-٥]. (محمد رشيد ذوق، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

و يقسم الله تعالى بالتين و الزيتون (بغذاء الانسان الأول) و بجبل النور (طور سينين) و يقسم بمكة المكرمة -- أول بيت وضع للناس، أن الله سبحانه خلق

الانسان في أحسن تقويم وعلَّمَهُ الأسماء كلها في أرقى وارفع لغة، ثم بعد ذلك رد الذين لم يؤمنوا و لم يعملوا الصالحات (بظلمهم، فهم ردوا أنفسهم أيضاً) أسفل سافلين حيث كانوا يحرفون و يغيرون المعاني الأساسية للغة الانسان، (محمد رشيد ذوق، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

إن الرسول محمد عليه الصلاة والسلام قد بين لنا في الحديث أن الناس ابناء رجل واحد فقال "إنَّ ربَّكم واحد، وإنَّ آباكم واحد" (ابن حنبل، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م: ٤٨٠/٥)، فجعل آدم وزوجه عليهما السلام صلة رحم لكل الناس، فآدم أبو كل البشر، وعقوق الوالدين، وقطع الرحم من المحرمات، يقول الله تعالى في كتابه الكريم ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ۞ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [سُورَةُ مُحَمَّد: الآيَةُ ٢٢ -٢٤]، فيبدأ التمييز العرقي والعنصري باللون أو الشكل ويبدأ الفصل بين الشعوب على أسس غير صحيحة ومفتعلة، لأن الناس إنما هم أبناء رجل واحد.

من هذا المنطلق "الناس كُلُّهُم بنو آدم، وَ آدم خُلِق من تراب" (التِّرْمِذي، ١٣٨٢هـ-١٩٦٢م: ٧٣٤/٥)، فجميعنا اخوة بالانسانية، و لغة أبينا واحدة — هي تلك التي علمها الله تعالى لآدم، و ربنا واحد. عندما يبلغ الانسان المعاصر الإعتقاد الكامل بأن لغة الانسانية هي العربية يكون قد أدرك عمق اسرار الكون الذي نعيش فيه ويكون قد استطاع أن يلمس الحقيقة الدِّينية التي تقول أن لغة أهل الجنة هي العربية وأن الملائكة والجان يعرفون العربية، نكون قد أدركنا هذه الحقيقة بشكل علمي، فالأولى بالإنسان السوي إذاً أن يعلّم هذه اللغة إلى ابنائه مهما كانت لهجته القومية أو القبلية ومهما كان لفظ لسانه أو حدود سكنه في هذه الأرض، والأولى أيضاً أن يحصن أولاده من تحريف

Prince of Songkla University Pattani Campus

المعاني والجُمَل بأن يُلَقِّنَهُمْ اللغة العربية الفصيحة الصحيحة وأن يُمَرِّنَ عَقْلَهُ و قَلْبَهُ على سَمَاعِهَا و النَّطْقِ به، (محمد رشيد ذوق، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).[٢٤]

وأُضيف هنا بأنه حتى معرفة لغات العالم الأخرى لاشك فيه أنها لا تناقض الدين، بل من الأمور المرجوة؛ لأنها تساند التطور -وليس كل تطور مناقض للدين- وبهذا فبعد تعلمنا العربية يستحسن تعلم الملايوية[٢٥] والتايلاندية[٢٦] ثم الإنجليزية،[٢٧] فبهذه اللغات نستطيع تكوين العلاقات مع غيرنا، وقد قيل "من تعَلَّم لغة قوم أمن مكرهم" وكذا سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ قد خاطب بذلك فقوله المشهور "من لم يعرف الجاهلية، لا يعرف الإسلام".

فمن هذ الفهم أدرك الكثيرون أن المنطقة محتاجة إلى تلك اللغات لفهم الدين أو النظام أو القوانين، لذلك فالسعي الحثيث في تعليم اللغات وتدريسها في الفُنْدُوق، والمدارس والكليات أمر لابد منه، والهدف من ذلك هو تحقيق احتياجات الأمة لها، و لأجل فهم الكثير بواسطها، فبدونها لن نتمكن من التعامل مع الآخرين، ففهم لغة مشتركة تنتج عدة فوائد: هي إمكانية البحث عن وسائل لأجل الروابط و العلاقات، و البحث عن سبل النظرية تطبيقية، وكذلك تؤدي إلى تأليف الطبائع المتنفرة وامتزاجها، و إلى الاحترام المتبادل.

٢،٦- دور التعليم التثقيفي في تحصين الأمة

وقد لا يكون المجال متاحاً للكلام عن الإنتاج العلمي والثقافي الذي أحدثه القرآن في حياة الأمة المسلمة، والعلوم والمعاجم والقواعد اللغوية والنحوية، التي الفت لحماية النص القرآني من التحريف والتصحيف، وبذلك حفظ لفظه ومعناه.. وليس هذا

---

[24] http://www.diwanalarab.com/spip.php?article5173.

[25] لغة أهالي المنطقة، وشعوب جنوب شرق آسيا.

[26] لغة الحكومة والدوائر الرسمية.

[27] لغة عالمية والتكنولوجيا العصر.

Prince of Songkla University Pattani Campus

فقط، وإنما حفظ ونقل رسمه أيضاً، فكان بذلك كتاباً منقولاً بالكتابة والرسم، وكان أيضاً قرآناً منقولاً بالمشافهة، وكانت المحاريب وحلقات الذكر والمدارسة ومراكز التحفيظ وفنيَّات الخط العربي، كفيلة بسلامة نقله كتابة وقراءة، ومشافهة كما أنزل على قلب محمد عليه الصلاة والسلام، وهذا ما يزال الرصيد الباقي والخالد للأمة، الذي يشكل لها الإمكان الحضاري، والرصيد الثقافي، حتى إن بعض الشعوب الإسلامية أعادت كتابة ألفاظ لغتها بالحرف العربي تبركاً به.

وخلود القرآن واستمراره رسماً ومشافهة، كان الوسيلة الوحيدة لاستمرار التواصل مع التراث، والقدرة على قراءته وادراك معطياته، كما كان الوسيلة الأساس لتطور اللغة العربية ضمن ضوابط سليمة تسمح للمتعلم اليوم أن يقرأ الإنتاج الفكري الثقافي في كل العصور الإسلامية، وهذا التطور الطبيعي وعدم الانفلات اللغوي، أدى إلى التماسك في نسيج الأمة الثقافي، وتواصل أجيالها، وبذلك أصبحت اللغة العربية ليست مجرد وسيلة للتعبير، لكنها مشحونات لتراث من الفكر والثقافة والقيم، والتراكمات من التجارب والخبرات، بين ماض عريق وصولاً إلى واقع نعيشه وغد نأمله.

فاللغة تبقى من أهم مقومات الارتكاز الحضاري وامتلاك القدرة على رسم ملامح الشخصية الحضارية للأمة، وبيان قسماتها، والتعبير عن ثقافتها، وتأمين تواصلها مع الأجيال وإيصالها (للآخر).. ويتوقف نجاحها في ذلك على مدى قدرتها على استيعاب حركة المجتمع ونمو الثقافة، وحمل رسالة الأمة إلى (الآخر) (طالب عبدالرحمن، ١٤٢٠هـ، ص٣٨- ٤٠).

١،٦،٢- شرف العلم

العلم نور، وهو قوام الحياة وعماد النهضات وأساس الحضارات، ووسيلة التقدم والرقي للأفراد والجماعات، ولذلك دعا الإسلام للعلم وقدس المعرفة، فكانت أول آية نزلت على رسول الله ﷺ تنوه بقيمة العلم وتسمو بقيمة القراءة والمعرفة ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ

رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۞ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۞ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [سُورَةُ العَلَقِ: الآيَةُ ١- ٥]، وسما الله بقدر العلماء ودرجتهم حينما قرنهم بنفسه وملائكته في الشهادة بوحدانيته والإقرار بربوبيته وعدالته ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَان: الآيَةُ ١٨] ويقول الله ﷻ للعلماء يوم القيامة إذا قعد على كرسيه للفصل بين العباد: "إني لم أجعل علمي وحلمي فيكم إلاَّ وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان فيكم ولا أبالي" ولما كان القلم وسيلة الكتابة والمعرفة وطريقاً لمحو الجهل والأمية فقد أقسم الله به تنويهاً بقدره وإشادة بفضله ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [سُورَةُ القَلَمِ: الآيَةُ ١] وقد جعل رسول الله ﷺ طلب العلم فريضة يطالب بها المسلم، للتفقه في الدِّين وتصحيح العقيدة وتعلم شؤون الحياة فقال: "طلب العلم فريضة على كل مسلم" (ابن ماجه، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م: ٨١/١)، ومن شدة دعوة رسول الله ﷺ للعلم والتعلم أنه جعل جزاء إطلاق سراح بعض أسارى بدر وتحريرهم على أن يعلّموا فئة من شباب المسلمين القراءة والكتابة، وبين رسول الله صلوات الله عليه ثواب طلب العلم وأجر السعي لتحصيله فقال: "إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء" (التِّرْمذي، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م: ٤٩/٥)، وقال ﷺ: "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة"، (البُخَارِي، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م: ٣٧/١)، وقد حث القرآن الكريم على التسابق في تحصيل العلم وكسب المعرفة فقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [سُورَةُ الزُّمَرِ: الآيَةُ ٩] (موسى الأسود، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص١٠٤).

Prince of Songkla University Pattani Campus

٢،٦،٢- الإسلام حرب على الأميَّة والجَهْل

إذا أردنا أن نعرف قيمة العلم في الإســـلام ومكانته، ومدى دعوته للتعلم ومحاربته للجهل والأمية، فعلينا أن نتذكر أن أول آية من القرآن الكريم نزلت على رسول الله ﷺ يوم أن كان في غار حراء، تسمو بقدر العلم وقيمة القلم: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۞ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۞ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [سُورَةُ العَلَقِ: الآيَةُ ١- ٥] ورسول الله ﷺ بعث في قوم أميين من العرب وهو نبي أمِّيّ، ولكن لو نظرنا إلى التعاليم النبوية الكريمة التي تدعو للعلم وتحض عليه والإرشادات الإلهية التي تبين قيمة العلم والعلماء، لأيقنا أن هذا الدِّين هو دين العلم والمنطق والعقل، وأنه لا مكان للجاهل بين صفوفه، على أن أميّة الرسول عليه الصلاة والسلام لا تعني الجهل، لكنها تعني أنه لا يحسن القراءة والكتابة، وإلا فإن الله علّمه وآتاه من الحكمة والفصاحة والبلاغة ما لم يؤت أحداً من العالمين، وقد أُوتي جوامع الكلم، (موسى الأسود، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص١١٧).

ويرى بعض العلماء أن الرسول ﷺ قد عرف الكتابة والقراءة في آخر حياته بعد أن قامت الحجة وظهرت المعجزة، روى ابن أبي شيبة وغيره. "ما مات ﷺ حتى كَتَب وقَرأ". وعلى كل حال فهذا إن صح من أنه عرف الكتابة والقراءة فيه معجزة أخرى له صلوات الله عليه لأنه تعلّم من غير تعليم، وللعلماء آراء متضاربة في هذه المسألة ليس المجال مناسباً لسردها، حيث أن المشهور لدى الأمة جميعاً أمّيته ﷺ، وبعث في قوم أمّيّين، قليل فيهم من يحسن القراءة والكتابة، لكن ما أن أكرمه الله بالنبوة والرسالة حتى حارب -فيما حارب- أمّيّة العرب وراح يعلي من قدر العلم، وقد أنزل عليه ربه آيات كريمة يقسم فيها بالقلم تنبيهاً لجلال الخط ومزية الكتابة ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۞ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ [سُورَةُ القَلَمِ: الآيَةُ ١-٢]، وأهل مكة قلّ من يحسن الكتابة بينهم، ومن ظهر منهم يحسن ذلك فهذا شذوذ عن القاعدة فمجتمعهم مجتمع أميّ، وأول

من أدخل الخط إليهم حرب بن أمية، قال زياد بن الغم: قلت لابن عباس: "معاشر قريش هل كنتم تكتبون في الجاهلية بهذا الكتاب العربي تجمعون فيه ما اجتمع، وتفرقون فيه ما افترق، هجاء بالألف واللام والميم والشكل والقطع، وما يكتب به اليوم؟ قال ابن عباس "نعم". قلت: "فمن علّمكم الكتابة؟" قال: "حرب بن أمية" قلت: "فمن علّم حرب بن أمية؟" قال: "عبدالله بن جدعان"، قلت: "فمن علّم عبدالله بن جدعان؟" قال: "أهل الأنبار". قلت: "فمن علّم ذلك الطارئ؟" قال: "الخلجان بن الموهم، كان كاتب هود نبي الله عليه السلام، (موسى الأسود، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص١١٧).

أما المجتمع المدني فوجد فيه من يحسن الكتابة من اليهود، وحينما دخل رسول الله ﷺ المدينة، كان فيها يهودي يعلّم الصبيان القراءة والكتابة، والصحابي الجليل زيد بن ثابت تعلّم كتابة اليهود بأمر من الرسول ﷺ، ويرى بعض الباحثين أن عدد الكاتبين في المجتمع المكي أكثر منهم في المجتمع المدني ويشهد لذلك أن رسول الله ﷺ أَذِنَ لأسْرَى بَدْر المكّيين بأن يفدي كل كاتب منهم نفسه بتعليم عشرة من صبيان المدينة الكتابة والقراءة، وقد بلغ عدد كتّاب الوحي بين يدي رسول الله ﷺ أربعين رجلاً، وانتشرت الكتابة وتعلّم الخط في المدينة منذ أقام الرسول ﷺ في مسجده "الصفة" وكان الصحابي الجليل عبدالله بن سعيد بن العاص يعلم فيها الراغبين الكتابة والخط، (موسى الأسود، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص١١٧).

وكان الرسول ﷺ يأمر الصبيان أن يتدارسوا في مسجد حيّهم، وهذا يزيدنا اعتقاداً أن المساجد التسعة في عهد رسول الله قد اتخذت مدارس لنشر العلم والتعلم، وقد طلب الرسول ﷺ في السنة الأولى للهجرة إحصائية عن عدد المسلمين في المدينة وقال: "اكتبوا لي من تلفّظ بالإسلام من الناس، فكتبنا له ألفاً وخمسمائة رجل"، وكان ﷺ يدعو المتعلمين ليعلموا الجاهل وفقهوه، ويتوعد العالم الذي لا يعلّم جاره الجاهل، وما هذا إلا إعلان حرب على الأميّة القاتلة، خطب رسول الله ﷺ ذات يوم فأثنى على طوائف من المسلمين خيراً، ثم قال: «ما بال أقوام لا يفقّهون جيرانهم ولا يعلّمونهم، ولا يعظونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم، وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون

ولا يتّعظون، والله ليُعلّمن قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون، أو لأعاجلنّهم العقوبة".
ولما فهم الأشعريون أنهم المعنيّون بهذا الحديث وكانوا فقهاء ولهم جيران جفاة من أهل المياه والأعراب، طلبوا من رسول الله ﷺ أن يُمهلهم سنة ليعلموا جيرانهم فأمهلهم الرسول عليه الصلاة والسلام (موسى الأسود، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص١١٧- ١١٨).

"والمؤمن بالقدر تجده عالي الهمة لا يرضى بالدون ولا بالواقع الأليم المُر، ولا يستسلم له محتجاً بالقدر، إذ إن هذا ليس مجال الاحتجاج بالقدر، بل إن إيمانه بالقدر يحتم عليه أن يسعى سعياً حثيثاً لتغيير هذا الواقع حسب قدرته واستطاعته"، (علي الصلابي، ١٤٢١هـ -٢٠٠١م، ص٢٢٨).

فتقوى الله ﷻ تكفل سعادة الدنيا والآخرة، وهي وصية الله للأولين والآخرين ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ: الآيَةُ ١٣١] ووصية الأنبياء لأقوامهم ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [سُورَةُ الشُّعَرَاءِ: الآيَةُ ١٠٥- ١٠٦]، ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [سُورَةُ الشُّعَرَاءِ: الآيَةُ ١٦٠- ١٦١] ولما خاف لوط عليه السلام على ضيفه، ذكّر قومه بتقوى الله ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ﴾ [سُورَةُ هُوْدٍ: الآيَةُ ٧٨] وكان ﷺ غالباً ما يبدأ وصاياه لأصحابه بالوصية بتقوى الله، وكان إذا بعث أميراً على سرية أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله، وبمن معه من المسلمين خيراً، ولما وعظ أصحابه قالوا له: إنها موعظة مودع فأوصنا قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة. وجاء في وصيته ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه: "اتق الله حيثما كنت" وقال أبوسعيد الخدري: يا رسول الله أوصني قال: "أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام" وكان من دعائه عليه الصلاة والسلام: " اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفة والغنى "، (مُسْلِم، ١٣٤٩هـ-١٩٣٠م: ١٢١/١٦)، (موسى الأسود، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص٢٠).

Prince of Songkla University Pattani Campus

وقال أبوذر ﷺ: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ [سُورَةُ الطَّلَاقِ: الآيَةُ ٢]، ثم قال: " يا أبا ذر لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم " وقال رجل لأحد الصالحين: أوصني قال: أوصيك بتقوى الله والإحسان، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. وكان الصحابة والسلف الصالح يوصي بعضهم بعضاً بالتقوى في كتاباتهم ومراسلاتهم وخطبهم ومواعظهم، قال أبوبكر ﷺ في خطبته: أما بعد فإني أوصيكم بتقوى الله وأن تثنوا عليه بما هو أهله وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة وتجمعوا الإلحاف بالمسألة، فإن الله ﷻ أثنى على زكريا وأهل بيته فقال: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴾ [سُورَةُ الأَنبِيَاءِ: الآيَةُ ٩٠]، وكتب عمر بن عبد العزيز ﷺ إلى رجل: أوصيك بتقوى الله ﷻ التي لا يقبل غيرها ولا يرحم إلا أهلها ولا يثيب إلا عليها، فإن الواعظين بها كثير والعاملين بها قليل، جعلنا الله وإياك من المتقين، وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقية منه، فتقوى العبد لربه: أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من سخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك، والله سبحانه أهل أن يتقى ويخشى كما قال ﴿ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾ [سُورَةُ المُدَّثِّرِ: الآيَةُ ٥٦]، (موسى الأسود، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص٢١- ٢٢).

وحقيقة التقوى هي: امتثال الأوامر واجتناب النواهي، أو هي: أن يجدك الله حيث دعاك ولا يراك حيث نهاك، وسئل أبوهريرة ﷺ عن التقوى فقال: "هل أخذت طريقاً ذا شوك؟ قال: نعم قال: "كيف صنعت" قال: "إذا رأيت الشوك عزلت عنه أو جاوزته أو قصرته عنه، قال: ذاك التقوى! فالمتقى يعتزل المعاصي ويتجاوز المنكرات ويقصر عن الشر ويبتعد عن الآثام، وهو في كل ذلك حذر من الوقوع في المعصية. قال أحدهم: المتقي أشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح لشريكه! (موسى الأسود، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص٢٢).

Prince of Songkla University Pattani Campus

ومن تمام التقوى: أن يترك العبد بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراماً، وفي الحديث "لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به البأس" (التِّرْمذي، ١٣٨٢هـ-١٩٦٢م: ٤/١٣٤)، قال معاذ بن جبل: ينادي يوم القيامة: أين المتقون؟ فيقومون في كنف من الرحمن لا يحتجب منهم ولا يستتر، قالوا له: من المتقون؟ قال: قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان وأخلصوا لله بالعبادة. وتقوى الله سياج من الرذائل وملاذ أمين وحصن حصين من نزغات الشيطان ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [سُورَةُ الأَعْرَافِ: الآيَةُ ٢٠١] وتقوى الله هي المقياس الحقيقي للإنسان عند ربه ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [سُورَةُ الحُجُرَاتِ: الآيَةُ ١٣] وهي مجلبة لبركات السماء والأرض ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [سُورَةُ الأَعْرَافِ: الآيَةُ ٩٦] والمتقون يوم القيامة هم أحسن الناس حالاً وأعلاهم درجة وأرفعهم منزلة ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [سُورَةُ القَمَـــر: الآيَةُ ٥٤- ٥٥] وهم في النعيم المقيم ينقلبون بجوار الرحمن ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ۝ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [سُورَةُ الزُّمَرِ: الآيَةُ ٧٣- ٧٤] نسأل الله أن يجعلنا منهم بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ (موسى الأسود، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص٢٢).

فدعوة الدِّين إلى التقوى، وبها أزال كل الطبقات، بل جعل المساواة أساس الدِّين، حيث قال الإمام الأوزاعي: جاء رجل أسود إلى سعيد بن المسيب يسأله، فقال له سعيد: لا تحزن من أجل أنك أسود فإنه كان من أخير الناس ثلاثة من السودان، بلال، ومهجع مولى عمر، ولقمان الحكيم، فإنه كان أسود نوبياً ذا مشافر!. واختلاف الألوان والألسن والأشكال لا يقتضي النزاع والشقاق، ولا يصح أن يجعل معياراً للتفاضل... وإنما يقتضي التعاون والتكاتف والتآلف، وليس لوطن الإنسان أو لونه أو جنسه أي اعتبار

Prince of Songkla University Pattani Campus

في ميزان التفاضل الذي يزن به الإسلام الناس، وهذا أمر يعتبر في نظر هذا الدِّين أساسياً وأصيلاً، فلا اعتبار فيه للمظاهر والأشكال.. وإنما الاعتبار للإيمان والأعمال.. وتقييم الناس على حسب ألوان البشرة والأجسام وعلى حسب انتماءاتهم العرقية إنما هو من ركام الجاهلية البغيضة التي جاء الإسلام لهدمها وتحطيمها. وتطهير النفوس مما علق فيها من رواسبها يقول ﷺ: "الناس كلهم بنو آدم، وآدم خلق من تراب، ولَيَنْتَهِيَنَّ أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا، إنما هم فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجُعْلِ الذي يُدَهْدِهُ الخُرْءَ بأنفه!" (التِّرْمذي، ١٣٨٢هـ-١٩٦٢م: ٥،٧٣٤)، وميزان التفاضل هو التقوى والصلاح ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾ [سُورَةُ الحُجُرَاتِ: الآيَةُ ١٣]، وهذه الآية أول وثيقة في التاريخ يعلنها الإسلام لبيان كرامة الإنسان والتأكيد على حقوقه، وهي أول إشـــهار لمبدأ المساواة بين الناس على اختلاف طبقـــاتهم وتباين مستوياتهم وتفاوت أجناسهم، وفي القرآن الكريم سورة تسمى بسورة "لقمان"، وفيها إشادة بفضله ومكانته، وتنويه بعلوّ منزلته وجميل حِكَمِه، ونصائحه، فهو عبد آتاه الله الحكمة.. وقد جاء في وصف لقمان هذا أنه كان عبداً مشقق القدمين وكان قصيراً أفطس..! وقيل إنه كان يحتطب لمولاه كل يوم حزمة حطب، وأدام رجل النظر إليه مرة فقال له لقمان: "إن كنت تراني غليظ الشفتين فإنه يخرج من بينهما كلام رقيق.. وإن كنت تراني أسود فقلبي أبيض.."، وفي الحديث الشريف: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم" (مُسْلِم، ١٣٤٩هـ-١٩٣٠م: ١٧/٤١).

ونظرة الإسلام لمبدأ المساواة تمثلت على اعتبار أن الإنسان يستحق الكرامة لعلمه وعقله وتفضيل الله له وتكريمه على سائر المخلوقات.. وبياض الرجل وحسن شكله لا يقدمه إذا أخره عمله.. ولا يؤخره سواد بشرته ودمامة خلقته، إذا قدمه عمله وفهمه وتقواه. فقد قال رسول الله ﷺ في خطبته في حجة الوداع: "أيها الناس ألآ إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألآ لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى أبلغت؟" (ابن حنبل، ١٤١٣هـ-

١٩٩٣م: ٥/٤٨٠)، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [سُورَةُ الحُجُرَاتِ: الآيَةُ ١٣]، وقال عليه الصلاة والسلام: "إذا كان يوم القيامة أمر الله منادياً ينادي: ألا إني جعلت نسباً، وجعلتم نسباً، فجعلت أكرمكم أتقاكم، فأبيتم إلا أن تقولوا: فلان ابن فلان خير من فلان بن فلان.. فاليوم أرفع نسبي وأضع نسبكم". والإسلام لم يعرف في يوم من الأيام قضية التمييز العنصري التي تنتهك في ظلها كرامة الإنسان وتمتهن حقوقه وتداس إنسانيته، وهذا تاريخنا الإسلامي على مر العصور يسجل التطبيقات العملية لمبدأ المساواة الذي تدعيه الدول المتحضرة اليوم زوراً وبهتاناً، وهي تمارس في أكثر من بقعة من العالم أبشع أنواع الظلم والامتهان والإذلال لكرامة الإنسان وتزعم أنها راعية حقوق الإنسان! وقد كان تطبيق مبدأ المساواة في المجتمع المسلم يتم كأي مبدأ آخر دون أن يلفت النظر أو يحدث ضجة.. ففي الصلاة والحج يظهر التطبيق العملي لهذا المبدأ في أداء هذين الركنين العظيمين من أركان الإسلام، حيث يقف الأبيض إلى جانب الأسود والرفيع إلى جانب الوضيع، والغني إلى جانب الفقير، دون أن يجد حرجاً أو غضاضة في ذلك.. لأن هذا أصبح أخاً لذاك وقد استقرت هذه الحقيقة في نفوسهم، فإذا ما أراد أحد التقدم على آخر أو التميز عليه.. فأمامه الميدان الفسيح للتسابق والتنافس بالإيمان والأعمال الصالحة والتقـــوى.. وأكرم الناس عندالله، أتقاهم له وأكثرهم خشـــية منه (موسى الأسود، ١٤١٧هـــ-١٩٩٦م، ص٢٣- ٢٥).

وبهذا مهما كانت الصعاب والعواقب التي تقف أمام الصحوة، إلاَّ أنها ستنقشع كما تنقشع السحب أمام الشمس الضياء، وتواصل الدعوة مسيرتها نحو الأمام، حيث عبَّر وائل رمضان بعبارته قائلاً: في ظلمة الليل تبزغ نجوم تضيء.. وكلما ازداد الليل ظلمة آذن الفجر بالمجيء هكذا فهم الصالحون.. الذين يعلمون أن نصر الله قريب.. فبشاراته تلوح لهم من بعيد.. يرونها بفهمهم الرشيد.. كما رأى رسول الله ﷺ سراقة يلبس سواري كسرى، وكان الخبر الأكيد (وائل رمضان، ١٤٢٤هـــ-٢٠٠٣م، ص٨).

ففي ظل الضغوط التي تعيشها الصحوة الإسلامية في شتى البقاع. وعلى كافة الأصعدة ومن كافة الجهات الأمنية والإعلامية وغيرها تتجرع ظواهر هي في الأصل

بشارات.. تثلج صدور المؤمنين.. لا ينفعها إلا العالمون العاملون، ولكل بقعة بشارات.. وفي كل أرض نجوم نيرات.. وإذا أخذنا مصر مثالاً نجد من هذه البشارات:

أ - ازدياد أعداد المحجبات بصورة ملحوظة في كافة الطبقات بدءاً بالعوام في القرى والمدن وانتهاء بطبقات المجتمع الراقية -زعموا- من الفنانات والراقصات وغيرهن.

ب- انتشار أسماء الصحابة والتابعين والقادة الإسلاميين بين عوام المسلمين بعد أن كانت محصورة بين أفراد الصحوة، فبعد أن كنت تسمع (سوسو وميمي) و(نانسي) بدأت تسمع عبدالرحمن وجهاد وآلاء وعائشة.

جـ- توجه الناس عموماً توجهاً نسبياً يتمثل في ظواهر عدة منها: تحري السنة في الزواج، فقلما تجد زواجاً يتم أو يعقد خارج المسجد، مع انحصار ظاهرة الحفلات الماجنة، وكذلك إقبال الشباب على البحث عن ذات الدِّين - ظهور التعاطف بشكل واضح مع قضايا المسلمين والمضطهدين كإخواننا في فلسطين والذي تمثل في خروج أكثر من طفل يحاول العبور إلى الأراضي الفلسطينية لمساندة إخوانه.

د- ثقة الشعوب في مؤسسات الصحوة والإقبال عليها كالمدارس الإسلامية وغيرها برغم ما تتعرض له من ضغوط.

هـ- الثقة في علماء ومشايخ الصحوة والتوجه إليهم بالسؤال والفتوى دون غيرهم.

إلى غير ذلك من الظواهر التي لورصدت بدقة لعلمت أن الخير في الأمة عظيم ولانحتاج إلا لجهود المخلصين الذين يحملون همّ هذا الدِّين بفهم واعٍ حكيم (وائل رمضان، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ص٨).

ولهذا نجد العلاقة الوطيدة بين العلوم الإسلامية ومجد الحضارة؛ حيث قام المشاركون في إحدى المؤتمرات الإسلامية بتوضيح تلك العلاقة وبيان أسس روابطها، ونستنتج من ذلك أهميتها في استعادة عزة الأمة، حيث أكد المشاركون على أن هذه العلوم هي الأساس الثقافي الذي قامت عليه البنية الحضارية.

Prince of Songkla University Pattani Campus

وأن حضارة المسلمين نتاج الإبداع العقلي الإنساني المسترشد بالوحي المنزل من عند الله ﷻ، ولابد من استعادة أمجاد الحضارة من خلال تنشيط مناهج العلوم الإسلامية وتدريسها للأجيال المسلمة، وربطها بحياتهم العملية، على أنه من الأهمية بمكان تعهد مناهج هذه العلوم بالتطوير المستمر، تمكيناً لها من التعامل مع مستجدات العصر وتحدياته المتلاحقة والمتتابعة على كافة الأصعدة.[٢٨]

وفي علاقة التعليم بتوطيد الأمن؛ أكد المؤتمر[٢٩] أن الأمة الإسلامية بحاجة إلى التعليم الإسلامي الصحيح، الذي يذّكر الناس بالأخلاق الإسلامية، التي تحلى بها رسول الأمة ﷺ من صدق وأمانة وإخلاص في القول والعمل وتفان في إتقانه وتراحم وتضامن وتعاون واعتصام بحبل الله.

وهذا التعليم يدعو إلى ما فيه خير الناس أجمعين، وينبذ ويحرم كل ما هو ضار بالبشر وبالأرض التي يعيشون عليها، ويغرس في الإنسان المسلم الإيمان بالله وكتبه ورسله وملائكته واليوم الآخر، لكي لا يقدم على ارتكاب جريمة أو ما يعكر صفو الأمن، ومن ثم فإن التعليم الإسلامي الصحيح يوطد الأمن، إذ يغرس الإيمان في نفس متلقيه فيمنعه عن ارتكاب الجرائم، بل ويساعد الأجهزة الأمنية على الحد منها.

وفيما يتعلق بالحملة على التعليم الإسلامي ومناهجه والدفاع عنها أوضح المؤتمر أن الحملة على التعليم الإسلامي ومناهجه جزء من الحملة المغرضة المشبوهة على الإسلام، وحذر المسلمين ومؤسسات التعليم من أهدافها الشريرة، ومن عواقبها الوخيمة، مؤكداً أن هدفها إضعاف التعليم الإسلامي ومناهجه؛ ليصبح عديم الفائدة، وهذا يوجب على المؤسسات الإسلامية التربوية والتعليمية والجامعات الإسلامية أن تتعاون في الدفاع

---

[28] http://themwl.org/PressReleases/default.aspx?d=1&cid=13&cidi=84&l=AR

[29] مؤتمر مكة المكرمة السادس الذي عقدته رابطة العالم الإسلامي، برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود -حفظه الله-، بعنوان: مناهج العلوم الإسلامية ١٤٢٦هـ.

Prince of Songkla University Pattani Campus

عن التعليم الإسلامي من التهم التي تكال له، ومن وصمة الإرهاب، وذلك من خلال تعاون وثيق مع وسائل الإعلام المختلفة.[٣٠]

٢،٧- علاقة التعليم بالتربية الدعوية

٢،٧،١- المدرسة والتربية

يرى بعض المعلمين أن التربية مرادفة للتعليم، وأن الغرض منها تحصيل العلوم وحفظ المذكرات؛ كي يستطيع الطالب الحصول على أكبر الدرجات، فيكون الأول في الامتحان. ولكن التربية الحقة ليست كما زعموا. وما هذا الامتحان إلا اختبارٌ للذاكرة ومقدرتها على الحفظ والتذكر، لا اختبار للذَّكاء، وقوة التلاميذ بالتعليم الذي ينبغي أن يكون؛ فقد دلت التجارب على أن هذا الإعداد -وإن ساعد في النجاح في الحياة المدرسية- لا يساعده في النجاح في حياته العملية (محمد الإبراشي، د.ت، ص٥٥).

إذن فعملية النقل التربوية التعليمية أساسية في أي نظام كان، ديمقراطي أو غيره؛ وأن الديمقراطيات الفعالة تمثل أشكال ديناميكية متطورة من أشكال الحكم تستلزم استقلالية فكرية لدى المواطنين، وتكون فيها فرصة تحقيق تغير اجتماعي وسياسي إيجابي في يد المواطنين، ويتعين على الحكومات ألا تنظر إلى النظام التعليمي على أنه وسيلة للسيطرة على المعلومات ولتلقين التلاميذ مبادئ معينة (وزارة الخارجية الأمريكية، د.ت، ص٢٧).

وأنه ممن يعتقد أن التربية تفعل الأعاجيب، وهل بعد تدريب الحمام على الرسائل فوق القنابل، وتمرين الكلاب على قيادة العميان والتفتيش على الجرحى في ساحات الوغى، وتعويد الخيول والفيلة والمعزى على الألعاب الرياضية المدهشة.. بعد هذا يشك إنسان في فضل التربية على الإنسان؟! لا.. لا يشك فيها أحد ولكن الإنسان ليس على سنَّة الحيوان. هذا محدود القوى والمدارك مقيد القابلية والاستعداد وذلك مطلق المواهب والملكات، بعيد مدى التصور والخيال، ثم هو مع ذلك مرتبط بطائفة من بني نوعه

[30] http://themwl.org/PressReleases/default.aspx?d=1&cid=13&cidi=84&l=AR

Prince of Songkla University Pattani Campus

تستطيع أن تنقض له ما يبرم وتبرم له ما ينقض، فما يتم لك على الحيوان في عام لا يتم لك على الإنسان في أعوام، بل ربما لا يتم لك في أجيال متعاقبة تبعاً للأصول التي فيها الأمة (محمد فريد، ١٣٨٦هـ-١٩٦٧م، ص٧١٠).

ومن جانبه قدم الدكتور عبدالله بن عبدالعزيز اليوسف الأستاذ المشارك في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بحثاً حول دور المدرسة في مقاومة الإرهاب والعنف والتطرف، وأكد فيه أنه يجب أن تتحمل المدرسة الدور المناط بها في تقليل الإرادة الإجرامية لدى أفراد المجتمع حيث إن الأمن يرتبط ارتباطاً وثيقاً وجوهرياً بالتربية والتعليم، إذ بقدر ما تنغرس القيم الأخلاقية النبيلة في نفوس أفراد المجتمع بقدر ما يسود ذلك المجتمع الأمن والاطمئنان والاستقرار. ويمثل النسق التربوي أحد الأنساق الاجتماعية المهمة التي تؤدي عملاً حيوياً ومهماً في المحافظة على بناء المجتمع واستقراره، حيث يعتقد الوظيفيون أن للنظام التربوي وظيفة مهمة في بقاء المجتمع وتجانسه من خلال مايقوم به النظام التعليمي من نقل معايير وقيم المجتمع من جيل إلى آخر، مشيراً إلى أنه على الرغم من كل ما يطرح عن فشل المناهج الدراسيَّة وضرورة إعادة النظر فيها إلا أننا نعتقد أن هناك عناصر إيجابية في المناهج الدراسيَّة ينبغي إبرازها، ساعدت على المحافظة على الأمن ومازالت تساعد على ذلك؛ فالماضي ليس كله شراً كما أن الحاضر ليس بالضرورة هو الأفضل (عبدالله اليوسف، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ص١٧).

٢،٧،٢- التربية والسلوك

إن الدور الذي يجب أن تقوم به التربية الوضعية -في نظر (كونت) هو أن تخلق في الإنسان اعتقاداً بالإنسانية على أساس أنه لم يصبح إنساناً إلا بمشاركته في الإنسانية، وأن الإنسانية ذاتها لم تتكون إلا باسهامه في وجودها فهناك التقاء مشترك بينه وبين الانسانية. وإذا لم تنشيء في الإنسانية هذه العقيدة فلا نوصل إلى الاصلاح الاجتماعي، ولا يترتب عليها الآثار المرتقبة، وهي آثار دفع الظلم والاعتداء عن طريق

المال، وتحكم الأنانية: "وواجب التربية الوضعية أن تنمي عاطفة التضامن، وأن تجعلها مبدأ للسلوك الخلقي؛ وبذلك تنفعل في نفس كل فرد عقيدتان تتضمن كل منهما الأخرى، وتتم عنهما ضروب تفكيره وسلوك.." وأولاهما: أن يقتنع بأنه لم يصبح إنساناً بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة إلاّ بفضل اشتراكه في الإنسانية، وذلك لأن ذكاءه وأخلاقه أشياء اجتماعية بكل ما تضمنته هذه الكلمة من قوة، "أما العقيدة الثانية: فتتضمن معرفته بأن الإنسانية قد تكونت في بعض نواحيها مما يساهم به في بنائها، وبأن كل عمل من أعماله رغب فيه أو لم يرغب يؤثر ويتردد صداه في الحياة الاجتماعية، "ومتى اقتنعنا بأننا نعيش في الانسانية وبالانسانية فإننا سنقتنع أيضاً بأنه يجب أن نعيش للانسانية"، (كونت، ص٣١٥. محمد البَهِي، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م، ص١٧٦).

و أوضح الأستاذ اليوسف أن من أهم المواد الدراسيَّة التي تساهم بدور فاعل في خدمة الأمن لدى الطلاب هي مواد التربية الإسلامية التي تدرس في المراحل الدراسيَّة كلها منذ المرحلة الابتدائية إلى أعلى المراحل الدراسيَّة، وتقوم مواد التربية الإسلامية على ترسيخ العقيدة الإسلامية في نفوس الطلاب في المراحل الأولى للتعليم، ومما لاشك فيه أن انعكاس هذه العقيدة على سلوك التلميذ سوف يجعل منه مواطناً صالحاً مساعداً في أمن وطنه وأمانه، وباستعراض دروس التربية الإسلامية في المرحلة الابتدائية نجد أنها ترتكز على الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التي تربي النفس على القيم الفاضلة وتحذر من انتهاك المحرمات والفساد في الأرض، وعند استعراض مقرر الحديث للصف الأول المتوسط على سبيل المثال نجد أنه يستكمل الأسس التي يبنى عليها المقرر من المرحلة الابتدائية حيث يناقش موضوعات مهمة في مجال الأمن مثل آثار الخلاف والعداوة بين المسلمين ومفسدات علاقة المسلم بأخيه وتحريم الظلم.

وعلى رغم الدور الإيجابي الذي تؤديه المدرسة في تفعيل آليات الضبط في المجتمع إلا أن التغيرات الاجتماعية والثقافية التي يمر بها العالم ومجتمعاتنا الإسلام في الوقت الحاضر أصبحت تفرض على النسق التربوي مسؤوليات مضاعفة تتجاوز حدود التعليم في نمطيته التقليدية وتفرض على النسق التربوي الاضطلاع بدور أكثر أهمية في تشريب

Prince of Songkla University Pattani Campus

الناشئة المعايير والقيم التي تحافظ على أمن المجتمع واستقراره، إن النسق التربوي في الوقت الحاضر أصبح يعاني من الكثير من الضغوط بسبب قصوره عن أداء بعض الأدوار المناطة به مما يتطلب إعادة النظر فيه بعقلية انفتاحية لا ترفض القديم كله ولا تقبل الجديد كله دون دراسة وتمحيص (عبدالله اليوسف، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ص١٧- ١٨، بتصرف).

فتربية الأمة على معاني التقوى لله والإخلاص له، والثقة به، والتوكل عليه، وغرس الإحساس الدائم برقابة الله على كل أعمال الإنسان، واطلاعه على سره ونجواه، وتغذية الشعور بالمسئولية أمامه يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً، ولا ينفع المرء إلا ما قدّمت يداه، واستحضار فكرة الخلود في الدار الآخرة، وأهوال النشور والموقف، والحساب والميزان، والجنة والنار، وبهذه التربية الروحية تتكون القلوب الحية أو الضمائر اليقظة التي هي أعظم رادع عن الشـــر، وأكبر حافز على الخير، وأقوى مدد لمكارم الأخلاق، (يوسف القرضاوي، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ص٤٠ -٤١).

ويربط الإسلام الأمانة بعقيدة الإنسان وسلوكه ويحاسبهُ عليها، ورأسُ مال المؤمن أمانتهُ، وكلُ ما استودع عند الإنسان فهو أمنه، فشبابهُ ومالهُ وعلمهُ يسألُ عنها يوم القيامة، لأنه مأمور بأداء الأمانة إلى أهلها لحديث: " لا تزول قدماً ابن آدم يوم القيامة من عند ربه؛ حتى يُسئل عن خمس: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وماله من أينَ أكتسبه وفيمَ أنفقه؟ وماذا عملَ فيما علم " (التِّرْمذي، ١٣٨٢هـ-١٩٦٢م: ٦١٢/٤)، ومن أثر الأمانة في المجتمع أنها تهذبُ سلوك الفرد، فالتاجرُ لا يغشُ ولا يرابي ولا يحتكرُ، والعاملُ يخلصُ في عمله، والموظفُ يؤدي واجبه، والقاضي يلتزمُ بأحكام الله، وولاةُ الأمر ينفذون شرعه وما أؤتمنوا عليه، ومن هنا أمرنا الله جميعاً بأداء الأمانات: برهانُ ذلك قوله تَعَالى: ﴿ فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَـٰنَتَهُۥ ﴾ [سُورَةُ البَقَرَة: الآيَةُ ٢٨٣]، وقوله تَعَالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ [سُورَةُ الأَحْـــزَاب: الآيَةُ ٧٢]، وقد أمـــر الله بأداء الأمـــانة إلى أهلـــها فقـــال: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾

[سُـــورَةُ النِّسَاءِ: الآيَةُ ٥٨]، وأن الأمانة قد نزلت في جذر القلوب، حيث قال الرَسُولُ الكريم ﷺ ((أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزلت القرآن فعلموا من القرآن وعلّموا من السنة)) (ابن حنبل، ١٤١٣هـــ-١٩٩٣م: ٥/٤٤٨)، قال ابن كثير رحمه الله "يأمر الله تَعَالى بأداء الأمانات إلى أهلها إلى أن قال: وهو يعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان من حقوق الله ﷻ على عباده، كالصلاة والزكاة والصيام والكفارات والنذور وغير ذلك مما هو مؤمن عليه لا يطلع عليه العباد. ومن حقوق العباد بعضهم على بعض كالودائع وغير ذلك مما يأتمنون به من غير اطلاع بينة على ذلك، فأمر الله تَعَالى بأدائها فمن لم يفعل ذلك في الدنيا أخذ منه يوم القيامة كما ثبت في الصحيح أن رَسُول الله ﷺ قال: ((لَتُؤَدُّنَّ الحقوق إلى أهلها حتى يقاد للشـــاة الجلحـــاء من الشـــاة القرناء))، (التِّرْمِذي، ١٣٨٢هـــ-١٩٦٢م: ٤/٦١٤)، والأمانة وديعة قد تكون حاجة تودع عند شخص، وقد تكون مسؤولية عند موظف، وقد تكون رعاية أولاد عند أب، وحملُ الإنسان للأمانة يدل على تكريمه. (عبدالرحمن العبيد، ١٤١٤هـــ، ص٥٠٧ -٥٠٨).

٢،٧،٣- أثر التربية في السلوك والأخلاق

فقد قدم الدكتور عبدالرحمن بن سليمان الخليفي الأستاذ المشارك بقسم الدعوة والاحتساب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بحثاً بعنوان: "أكد فيه أن على العلماء والدعاة أن يدركوا حقيقة مهمة ثابتة لا يمكن التغافل عنها أو الالتفات عن أهميتها؛ ألا وهي أن سلوك الإرهاب والعنف والتطرف نتيجة ظاهرة لمرض في قلب من يسعى إليه أو يشارك فيه، فعلى من يتطلع للتصدى لهذا السلوك أن يحدد الداء قبل أن يصف الدواء، وعند ذلك يتيسر أمر علاج هذا الداء، وعلى هذا فإنه يتأكد أن تكون خطة العمل التي يعدها العلماء والدعاة لمواجهة هذا الانحراف مبنية على احتواء حكيم يعمل على وقاية أبناء المجتمع من هذا السلوك ويعالج من تلوث بهذا الداء. وبالتالي تهدم

Prince of Songkla University Pattani Campus

القواعد وتزال الأرضية المناسبة لبذرة الإرهاب ويمنع من تكاثر أفراده وتبادل أفكاره بين الناس.

وأردف قائلاً: والخلاصة التي أريد أن أصل إليها من هذا التوجيه هي إرشاد المسلم في المجتمع لأن يكون واعياً أحكام دينه، صاحب رسالة في الحياة، ذا اتصال بالناس مخالطاً لهم، يبادلهم الأخذ والعطاء، قد كونت شخصيته مجموعة كبيرة جداً من مكارم الأخلاق لأنه وجه وأرشد على أن التخلق عبادة يثاب عليها ويحاسب على تركها، فيكون مهذباً تقياً خيراً نظيفاً واقفاً عند حدود الله، لا يعتدي على غيره من الناس، يزن الأمور بميزان صحيح قامت أركانه على علم جزئية لتهدم قاعدة كلية، أو يسعى سعياً متشدداً فيحارب منكراً فيحدث هو منكرات أكبر أو يعطي ذريعة لغيره بإحداث منكرات كثيرة (عبدالرحمن الخليفي، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ص١٧- ١٨).

٤،٧،٢- أثر القرآن في النفوس

فقد جعل الله ﷻ نزول القرآن نعمة لا تحصى فقال تَعَالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سُورَةُ العَنْكبُوت: الآيَةُ ٥١]، وقال تَعَالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ﴾ [سُورَةُ المَائِدَة: الآيَةُ ٤٨]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: المهيمن: الأمين، القرآن أمين على كل كتاب قبله، وقال تَعَالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [سُورَةُ يُونس: الآيَةُ ٥٨]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: فضل الله: الإسلام، ورحمته: أن جعلكم من أهل القرآن. وسماه مولانا ﷻ شفاء فقال تَعَالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ﴾ [سُورَةُ الإِسْرَاء: الآيَةُ ٨٢]، وسماه نوراً لتوقف الهداية عليه: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [سُورَةُ المَائِدَة: الآيَةُ ١٥]، وقال تَعَالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ﴾

Prince of Songkla University Pattani Campus

[سُورَةُ الأَنبِيَاءِ: الآيَةُ ٥٠]، وقال تَعَالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَـٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [سُورَةُ الأَنبِيَاءِ: الآيَةُ ١٠]، أي: شرفكم وما تُذكرون به، وسماه روحاً لتوقف الحياة الحقيقية عليه، وهي حياة القلب فقال تَعَالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾ [سُورَةُ الشُّورَى: الآيَةُ ٥٢]، وهو أحسن الحديث قال تَعَالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [سُـــورَةُ الزُّمَـــرِ: الآيَةُ ٢٣]، وقال تَعَالى: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ [سُورَةُ الحَدِيدِ: الآيَةُ ١٦]، وقال تَعَالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [سُورَةُ الحَشْرِ: الآيَةُ ٢١]، (سيِّد العفّاني، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ص١٢٩-١٣٠).

وكمثال واحد على معرفة وجود أو عدمه ذلك آثار التعـليم أو التربية في السلوك، نورد هذه القصة، فقد اختارت السلطات الفرنسية أثناء احتلالها للجزائر عشر فتيات مسلمات، فرعتهُنَّ أفضل رعاية وتكفَّلت بِهِنَّ تعليماً وتوجيهاً، ولَقَّنَتْهُنَّ الثقافة الغربية، وأَلْبَسَتْهُنَّ الثياب الفرنسية، حتى أصبحن كالفرنسيات، واستمرت هذه الرعاية أحد عشر عاماً، فرغبت السلطات بإقامة حفلة تخرّج لهن، ودعي إليها كبار المسؤولين، ولما ابتدأ الحفل فوجئ الحضور، بدخول الفتيات الجزائريات وهن يرتدين اللباس الإسلامي..! وثار عجب الجميع واستغرابهم وتملكتهم الدهشة، وتساءلت الصحافة الفرنسية بغضب: ماذا فعلت فرنسا في الجزائر إذن بعد مرور مائة وثمانية عشر عاماً؟! فرد وزير المستعمرات الفرنسي قائلاً: وماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا!؟ ومشهورة كلمة رئيس الوزراء البريطاني في أوائل هذا القرن حينما وقف في مجلس العموم

Prince of Songkla University
Pattani Campus

وأمسك بنسخة من القرآن الكريم وقال: لن يقرّ لنا قرار في الدول الإسلامية مادام هذا الكتاب بأيديهم!

إن طبيعة هذا القرآن تحتوي على قوة خارقة، فلقد أوجد هذا القرآن أمماً وشعوباً، وأقام دولاً وأنشأ حضارة، وأحيا شعوباً قتل روحها الطغيان والظلم والأوهام، وغيّر معالم الحياة ومجرى التاريخ، وحرر العقول والأفكار من جمود التقاليد والعادات ورواسب الجاهلية، وأحدث هزة عنيفة في كيان الوجود نقلته من حال إلى حال ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [سُورَةُ الإِسْرَاءِ: الآيَةُ ٩]، ولو اتبع الناس القرآن ومنهجه، لاهتدوا للصراط المستقيم والطريق القويم فعاشوا سعداء في ظله وتحت رايته، وللقرآن تأثير عجيب في النفوس، فبلاغته تأخذ بالألباب وسحر بيان يأسر القلوب، وقد كانت للمشركين مواقف مع رسول الله ﷺ اذعنوا فيها لبلاغة القرآن وأخذوا بفصاحته وبيانه وتأثروا بآياته، فهذا عتبة بن ربيعة وكان سيد قومه حينما جلس إلى رسول الله ﷺ يستمع إليه تأثر تأثراً بيّناً بالقرآن وقال لقومه: لقد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها لي، خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه، فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به! وقال: إن لقوله لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإنه ليعلو ولا يعلي عليه، وكان ثلاثة من زعماء المشركين في مكة يستمعون إلى تلاوة رسول الله ﷺ وقراءته في الليل، وهم أبو جهل، والأخنس بن شريق، وأبوسفيان، فكان كل واحد منهم يأخذ مجلساً بالقرب من دار رسول الله ﷺ ليستمع لتلاوة القرآن ولا يعلم بمكان صحبه، فيبيتون يستمعون للقرآن، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق، فتلاوموا، ويتعاهدون على ألا يعودوا لهذا لئلا يشجع ذلك الأتباع، وتكرر هذا الموقف منهم ثلاث ليال، وفي كل ليلة يتعاهدون ألا يعودوا ثم يعودون، ولما سأل بعضهم بعضاً عن رأيه فيما سمع كان الجواب: لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها! وهذه إحدى عجائب القرآن وهذه بعض مظاهر إعجازه.

ويذكر أحد الكتاب أنه في إحدى رحلاته مع مجموعة من المسلمين حضرهم صلاة الجمعة وهم على متن باخرة تمخر عباب البحار، فأقاموا شعائر الجمعة، وقام هو فيهم خطيباً فتقدمت سيدة أجنبية لتشاهد صلاة المسلمين، وأنصتت لكلام الخطيب وهي لا تفقه كلامه العربي، فلما انقضت الصلاة استفسرت عن كلام كان يخرج من فم الخطيب يختلف عن باقي الكلام، حيث أن له وقعاً في النفوس وأثراً واضحاً على القلوب، فقيل لها: إنه القرآن الكريم، كلام الله ﷻ، والكتاب المقدس لدى المسلمين!، وتجاوب الفطرة وتأثرها بالقرآن أمر لا يمكن إنكاره، فهو الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه، وهذه إحدى عجائبه!! وإذا كانت هذه آثار القرآن الكريم في نفوس غير المؤمنين به، فكيف بآثاره في نفوس أتباعه والمؤمنين به؟! وكيف بفعله في قلوبهم، ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۞ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۞ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩﴾ [سُورَةُ الإِسْرَاءِ: الآيَةُ ١٠٧- ١٠٩]، ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [سُورَةُ الأَنفَالِ: الآيَةُ ٢]، إنه شعور غامر وتأثر ظاهر بآيات الله لدى المؤمنين، ولا عجب فهو البلسم الشافي والدواء الناجع لأمراض النفوس وعلل القلوب ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سُورَةُ الإِسْرَاءِ: الآيَةُ ٨٢] (موسى الأسود، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص٩١- ٩٣).

وقال مالك بن دينار: "ما تنعّم المتنعمون بمثل ذكر الله" (صفوة الصفوة، ٢٧٣/٣) وصدق رحمه الله ولله در القائل:

لها أحاديث من ذكراك تشغلها

عن الطعام وتلهيها عن الزاد

وكان رحمه الله يقول: "يا حملة القرآن ماذا غرس القرآن في قلوبكم، فإن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض، وقد يترل الغيث من السماء إلى الأرض فيصيب الحش فيكون فيه الحبة فلا يمنعها نتن موضعها أن تهتز وتخضر وتحسن، فيا حملة

القرآن ماذا زرع القرآن في قلوبكم، أين أصحاب سورة، أين أصحاب سورتين، ماذا عملتم فيهما"، وقال أيضاً رحمه الله: إن الصديقين إذا قريء عليهم القرآن طربت قلوبهم إلى الآخرة، (صفوة الصفوة، ٢٨٦/٣. سيِّد العفاني، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ص١٣٥).

ومثال آخر في ذلك التأثير، حيث يفرق الفلاسفة الأخلاقيون بين أنواع الشجاعة، فيذكرون مثلاً الشجاعة العسكرية كالاقدام والبَسَالة في المعركة، وهناك الشجاعة السياسية في اتخاذ القرارات المصيرية التي تحسم العالق من الأمور، وهناك أيضاً الشجاعة الأخلاقية كقول كلمة الحق من دون خوف ورهبة، بل أن بعض الفلاسفة يشيرون إلى وجود شجاعة نفسية مميزة تتمثل في القدرة على مواجهة مشكلات الحياة المختلفة مثل النقص في المال، أو مواجهة المرض المفاجئ أو في التغلب على المرض المزمن ويتفق الجميع على أن أي فرد يستطيع التحلي بأنواع الشجاعة السابق ذكرها متى شاء ومتى تهيأت له الظروف لفعل ذلك، ولكن هناك نوع معين من الشجاعة يقدر عليه البعض من بني البشر وليس كلهم، ويتمثل في شجاعة الفرد العادي في السيطرة على رغباته وشهواته ودوافع وبواعث النفسي الإنسانية الشريرة فالنجاح في السيطرة على شراك وفخاخ الضعف التقليدية، أسهل طريق لتحقيق الشجاعة الحقيقية، النفس الإنسانية في حالتها البدئية أمارة بالسوء وباعثة للشر وميالة لأذى الآخرين يذكر أحدهم إن صادف مرة عندما كان بعض الأشخاص يتحدثون عن الفراسة، وما إذا كانت فعالة في كشف الشخصيات الحقيقية للأفراد فأشار أحدهم إلى أحد الفلاسفة الاغريق العظماء من معاصريه ووصفه بالشرير؛ لأن وجهه يوحى بذلك! فصدم المستمعون واعترضوا مصرين على أن ذلك الفيلسوف هو أحد صانعي علم الأخلاق، ولعله كان أفلاطون، فكيف به أن يصبح شريراً؟!، فما كان من ذلك للشر أكثر من الخير والأخلاق، ولكنه طبعها وعودها وأدبها قسراً عن طريق التفكير الأخلاقي المستمر، وعن طريق التعمق في دراسة علم الأخلاق، إلى فعل الخير والاستقامة". من يستطيع أن يروض نفسه على عمل الخير، ومن يتجه في السيطرة على الدوافع الغريزية الانسانية المتوارثة والتي تقود النفس الإنسانية العادية نحو الأنانية والتفرد والتدمير وأذى الآخرين فهو الشجاع حقاً وهو من سيصل إلى

Prince of Songkla University Pattani Campus

تحقيق السعادة الحقيقية التي ستجلب له الطمأنينة والثقة في نفسه وفي الآخرين (خالد عايد الجنفاوي، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ص٢٥).

فالحديث عن حرية الكلام والتعبير أهي مطلقة؟، خاصة فيما يخص المسائل السياسية وغيرها من القضايا العامة، تعتبر شريان حياة أي نظام ديمقراطي. فالحكومات الديمقراطية لا تسيطر أو تراقب معظم الكلام المكتوب والشفهي لمواطنيها. وهكذا فإن الديمقراطيات تكون مشبعة عادةً بأصوات كثيرة، تعبر عن أفكار وآراء مختلفة، وحتى متناقضة. ووفقاً لأصحاب النظريات الديمقراطية، يؤدي عادةً الحوار الحد والمفتوح إلى انتقاء أفضل الخيارات، كما أنه قد يؤدي إلى تجنب اقتراف أخطاء خطيرة.

حرية الكلام حق أساسي، لكنه غير مطلق، ولا يمكن استخدامه لتبرير العنف، أو الافتراء، أو التشـــهير، أو تخريب النظام، أو ممارسة الفحشاء. تتطلب الديمقراطيات الراسخة، بوجه عام، درجة عالية من التهديدات المحتملة لتبرير منح حرية الكلام، أي في حال أدى ذل إلى التحريض على أعمال العنف، أو إيذاء سمعة الآخرين من غير وجه حق، أو تشجيع الإطاحة دستورية، أو الترويج للسلوك الفاسق، كما تمنع معظم الديمقراطيات الكلام التحريض على الكراهية العرقية أو الإثنية.

التحدي الذي تواجهه الديمقراطية يكمن في بلوغ التوازن: الدفاع عن حرية الكلام والتجمع، وفي الوقت ذاته، التصدي للكلام الذي يُشجع فعلاً على العنف، أو الترهيب، أو التخريب (وزارة الخارجية الأمريكية، د.ت، ص١٤).

٢،٧،٥- أثر التعليم في إقامة العدل والسلم والتعاون

هناك عدة بحوث كُتبت عن هذا الأثر في إقامة العدل والسلم والتعاون بين الأمم والشعوب، فمن تلك البحوث:

Prince of Songkla University Pattani Campus

١- معالجة التعليم الإسلامي للغلو والتطرف والإرهاب

٢- أثر التعليم الإسلامي في دعم التعايش والسلم الدولي

٣- أثر التعليم الإسلامي في توطيد الأمن

٤- مسؤولية المنظمات الإسلامية في تحقيق مقاصد الإسلام.

وقد أكد المشاركون في المؤتمر[٣١] أن من أهم مقاصد العلوم الإسلامية:

١. المعرفة الصحيحة بتوحيد الله ﷻ، والطريق الصحيح لعبادته وحده، وذلك من أشرف المقاصد.

٢. رفع الجهل وتعليم الناس أمور دينهم بصورة صحيحة، لا إفراط فيها ولا تفريط.

٣. تطبيق شريعة الله، والدعوة إليه على بصيرة: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [سُورَةُ يُوسُفَ: الآيَةُ ١٠٨].

٤. نشر المعرفة الصحيحة التي تعين الناس على التعامل الصحيح مع شؤون الحياة ليحيا الناس حياة إسلامية كريمة يعمّها الأمن والسلام.[٣٢]

الخلاصة أن التربية والتعليم هما المخلص الوحيد مما فيه الشرق عامة وكل أمة على حدها خاصة، لكن هناك أمران خطيران يجب الالتفات إليهما وهما: (الأول) القوى الأوروبية المحلل. (ثانياً) المفتونون منا بمدينة الغرب. أما تلك القوى المحللة فهي دائبة لا تكل، وكلما أدمنت وتمادت مصت دمائنا، وأفنت قوانا واسترفت حيويتنا شيئاً فشيئاً، وأما المعجبون منا بمدينة أوروبا إعجاباً لا حد له فهم في تحمسهم لعاداتها وأصولها، ونصحهم للأمة بالأخذ بها يساعدون فعل تلك القوى المحللة مساعدة خطيرة للدرجة

---

[31] البيان الختامي لمؤتمر مكة المكرمة السادس الذي عقدته رابطة العالم الإسلامي، برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود -حفظه الله-، بعنوان: مناهج العلوم الإسلامية ١٤٢٦هـ.

[32] http://themwl.org/PressReleases/default.aspx?d=1&cid=13&cidi=84&l=AR

Prince of Songkla University Pattani Campus

القصوى، ألا ترى تزاحم أمم أوروبا على فتح المدارس ببلاد الشرق تصرف المصاريف الطائلة عليها وهي أحق بها في بلادها؟ ماذا يعني ذلك من تلك الأمم إن لم يكن السعي في نشر لغتهم وعاداتهم بيننا تسهيلاً لتحليلنا لما قرره لهم العلم من أن اللغة والعادات من أكبر المحللات لعناصر الأمم المستضعفة؟ فهؤلاء الذين يلقبون بعضهم بعضاً بالمصلحين هم أكبر أعوان تلك القوى المحللة من حيث لا يدرون بل من حيث يريدون الإصلاح، فإن كان هنالك وجه للتخوف والشك من المستقبل فهو من جهة هذين الخطرين الكبيرين ليس إلا، وعلينا أن نبدي رأينا فيهما تتميا لهذا البحث خدمة لأمتنا المحبوبة (محمد فريد، ١٣٨٦هـ-١٩٦٧م، ص٦٩٨- ٦٩٩).

ولذلك فإن العلم وحده لايكفي لسلوك طريق الخير والصلاح، فلابد من تربية النفس بالمجاهدة، والنصح والتذكير والترغيب والترهيب وبوسائل التربية الأخرى، حتى يسلك الإنسان الطريق النافع، ولهذا فإن الناس أربعة أصناف بحسب حظهم من العلم والإرادة:

١- من رزق علماً وأُعين على ذلك بقوة العزيمة على العمل.

٢- من حُرم هذا وهذا، وهم الموصوفون بقوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [سُورَةُ الأَنفَالِ: الآيَةُ ٢٢].

٣- من فُتح له باب العلم، وأغلق عنه باب العزم والعمل، فهذا في رتبة الجاهل أو شراً منه.

٤- من رزق حظاً من العزيمة والإرادة، ولكن قل نصيبه من العلم والمعرفة، فهذا إذا وفق له الإقتداء بداع من دعاة الله تعالى ورسوله ﷺ، كان من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ: الآيَةُ ٦٩]، (ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، ١/١١٤)، ولذلك فالعلم وحده لا يكفي، فلابد من تربية الإنسان لنفسه، ليطبق ماتعلمه بالاتباع والامتناع، باتباع المنهج

Prince of Songkla University Pattani Campus

الإسلامي، والإمتناع عن كل ماهو ضده، وكذلك ليربي من هو مسؤول عن تربيتهم بوسائل التربية الشرعية المختلفة.

وأهمية التربية والكتابة فيها تبرز فيما يلي:

١- أن العلم وحده لا يكفي لتعديل السلوك فلابد أن يُؤازر ذلك التربية.

٢- مداهمة بعض المصنفات التربوية الغربية للعالم الإسلامي، وما تحمله من أفكار واتجاهات تربوية مخالفة للمنهج الإسلامي، فكان لابد من التصدي لها بضدها.

٣- تأثر بعض الذين كتبوا في التربية بتلك الأفكار الغربية، ونقلت كأنها مسلمات إلى كتبهم، عن طريق الترجمة أو الاقتباس.

٤- حاجة الآباء والمعلمين والمؤسسات التربوية والاجتماعية إلى معرفة الأساليب التربوية الإسلامية، لتساعدهم على بناء خير أمة أُخرجت للناس، خاصة في خضم تكاثر المعلومات وازدحامها، وسهولة الاتصال بين مجتمعات العالم، ووفود وظهور مؤثرات منهجية وإعلامية وثقافية، برز تأثرها الكبير على سلوكيات بعض الناس، فاحتاج الأمر إلى إبراز منهج التربية الإسلامية: الإنمائي، والوقائي، والعلاجي.

٥- أهمية وجود مصنفات علمية تبين واقع المؤسسات التربوية، وحاجاتها، وقضاياها، والأساليب العلاجية لها، (خالد الحازمي، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، ص٢٩).

فمن أهم أهداف التربية إعداد الفرد للعمل والإنتاج، وذلك لأن من أهم مميزات الإنسان كونه كائناً منتجاً يحقق إنسانيته في العمل باعتباره نشاطاً اجتماعياً. والبطالة جريمة إنسانية كبرى وانحراف بالإنسان عن الاستمتاع بأعظم مقوماته الإنسانية.

فتعليم العالم الإسلامي في نظامه ومحتواه وعملياته ووظائفه الراهنة، حقيقة اجتماعية قائمة. ولابد أن ننظر إليه نظرة فاحصة تتيح لنا رؤية: ماذا يراد تحقيقه به؟ وكيف يمكن أن يحققه في مراحله وبأساليبه وإمكاناته ؟ وهل هناك فرضيات نأخذها على عاتقها صارت لطول الألفة بها من المُسَلَّمَاتِ التي قد لا تتمشى مع صياغتنا الجديدة لمجتمعنا، أو لا تدفع إلى تطوره ؟، لاشك أن الإنسان قابل للتعلم وقادر عليه، وأنه يمكن

دائماً أن نتخذ من الوسائل ما يمكن به تغيير التعليم السابق، وإزالة آثاره، وترسيخ المطالب الجديدة في التعلم.[٣٣]

Prince of Songkla University Pattani Campus

[33]http://www.isesco.org.ma/pub/ARABIC/strattrav/P13.htm